

الخبر والإنشاء

أولا : الأسلوب الخبري

الأمثلة :

- قال تعالى : " إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَآبًا " .
- أ - سارت الإمارات في طريق التقدم خطأ واسعة .
- فاز منتخبنا لكرة القدم في مباراته الأخيرة .

- قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام :
" رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا...الآية".
- قال ابن الرومي : وأولادنا مثلُ الجوارح ، أيها فقدناه كان الفاجعُ اليِّنَ الفُقْدُ
- ب - ولابن زيدون قوله: نكأذ حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسي لولا تأسسينا
- وقال إيليا أبو ماضي : إن شرَّ الجناةِ في الأرضِ نفسٌ تتوقَّى قبلَ الرحيلِ الرحيلًا

إذا نظرنا إلى المجموعة (أ) من الأمثلة وجدنا كلا منها يخبرنا بأمر قد وقع أو سيقع مستقبلا - كما في الآيات الكريمة - ، وأنَّ الغرض من سرد هذه الأخبار إنما يكون لإفادة المستمع بمضمونها ، كما أنَّ الخبر في المثالين الأخيرين من هذه المجموعة يحتملان الصدق والكذب ، ما عدا المثال الأول فهو مقطوع بصدقه ، لأنه من الخالق - جلَّ وعلا - .

إذن الخبر يحتمل الصدق والكذب بغض النظر عن قائله ، وغرضه إفادة المستمع بمضمونه .
ولكن إذا ما نظرنا إلى المجموعة (ب) فإننا نجد زكريا عليه السلام يخبر الخالق - جلَّ وعلا - أنه وهنَ عظمه وشاب شعره ، والله يعلم قطعا ذلك ، وزكريا أيضا لم يكن غرضه إخبار الخالق - سبحانه - بذلك ، فما غرض زكريا من قوله هذا ؟ ... إنَّ غرضه إظهار الضعف والعجز لله سبحانه لا أكثر ، لأنه يستحيل أن يكون غرضه إخبار الله بأنه وهنَ عظمه وشاب شعره .

باختصار يمكن القول : أن إخبار زكريا ربّه قد خرج من غرض الإخبار عمّا قاله إلى غرض آخر وهو : إظهار الضعف والعجز . وهذا هو الفارق بين الغرض الحقيقي للخبر وبين الغرض البلاغي له .
فجميع الأمثلة في المجموعة (أ) أخبار حقيقية وغرضها حقيقي ، وهو الإخبار أن جهنم تترصد الكافرين ، وأنَّ الإمارات سارت خطوات في طريق التقدم ، وأن منتخبنا الوطني فاز في مباراته الأخيرة . فكل هذه أمثلة وعبارات الغرض منها الإخبار عمّا جاء فيها .

أما في المجموعة (ب) فقد خرجت الأخبار في جميع الأمثلة عن غرضها الحقيقي إلى غرض آخر بلاغي - كما وضعنا في الآية الكريمة سابقا - غرض زكريا عليه السلام هو إظهار الضعف والعجز للخالق - سبحانه - ، وغرض ابن الرومي هو إظهار الحسرة والحزن على فقداه لابنه ، وغرض ابن زيدون إظهار الحزن والأسى على فراقه لمحبوته .

والآن حاول معرفة الغرض البلاغي للخبر فيما يأتي :

- جاء صديقك مهللا : لقد نجحت ، لقد نجحت .
 - تقول لوالدك : إنك نعم الأب .
 - قال النابغة للملك النعمان بن المنذر :
- فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ

الإجابة :

- غرض الصديق : إظهار الفرح والسرور .
- في العبارة الثانية : غرضك تعظيم والدك أو إظهار التقدير والاحترام له.
- وغرض النابغة : تعظيم الملك النعمان .

تمرين

- بين الغرض البلاغي فيما يأتي :
- أ (يقول حسن بن ثابت مخاطبا قريش :
- فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
- ب (يقول أبو العتاهية :
- إن البخیل وإن أفاد غنى لتری علیه مخایل الفقر
- ج) ويقول المتنبي في سيف الدولة الحمداني :
- علیم بأسرار الديانات واللغی له خطرات تفضح الناس والکتبا

ثانيا : الأساليب الإنشائية الأمثلة :

- احرص على صلاة الجماعة .
- لا تهمل واجباتك .
- يا بني ، نظم وقتك .
- هل ذهبت إلى العين ؟

أ

- قال تعالى : " أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم ؟ "

- للخنساء ترثي أخاها صخر :

أعينيّ جوداً ولا تجمداً
ألا تبكيان لصخر الندى ؟

ب

- ولأبي القاسم الشابي يخاطب الغزاة المحتلين :

ألا أيها الظالم المستبدّ
حبیب الظلام عدوّ الحياه

- ولأبي تمام في المنجمين الذين نصحوا المعتصم بعد غزو عمورية :

أين الرواية ؟ بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب؟

عرفنا فيما سبق أنّ الخبر يحتمل الصدق أو الكذب ، وهناك ضرب من الكلام لا يقال لقائله أنه صادق أو كاذب ، وهذه هي الأساليب الإنشائية .

* فما هو الأسلوب الإنشائي ؟ ولماذا أطلقت عليه هذه التسمية ؟

اعلم عزيزي الطالب أن هناك نوعاً من الكلام إذا ما نطقت به فإنه لا بدّ من حصول شيء أو نشوء شيء بعد نطقك به ، فمثلاً :

- إذا ما سألت سؤالاً لأحد فإنه لا بدّ من نشوء إجابة عن سؤالك .

- وإذا ما أمرت إنساناً بأمر فإنه لا بدّ من نشوء فعل ... وهكذا.

- إذا ما ناديت إنساناً فإنه لا بدّ أن ينتبه لندائك .

مثل هذه الأساليب أطلق عليها البلاغيون (أساليب إنشائية) لأنه عند النطق بها فلا بدّ أن ينشأ شيء ما ، فنشأت إجابة عند السؤال ، ونشأ فعل عند الأمر ، ونشأ انتباه عند النداء . وهذه هي الأساليب الإنشائية الحقيقية .

وعند النظر إلى أمثلة المجموعة (ب) فإننا نجد أنه من المستحيل أن يكون الحق - سبحانه - غرضه الاستفهام أو السؤال الحقيقي لمن يأمر الناس بالخير وهو لا يفعله ، كما أن ليس من المعقول أن يكون غرض الخنساء أن تنادي عينيها أو أن تأمرها بالبكاء ، أو أن تنهاهما عن الجمود وحبس الدموع ، أو أن تسألها : هل ستدرفين الدمع أم لا لموت صخر؟ ، ومادام ليس غرضها النداء الحقيقي ، ولا الأمر الحقيقي ، ولا النهي الحقيقي ، ولا الاستفهام الحقيقي ... إذاً ما غرضها من هذه الأساليب المختلفة ؟

وهنا يمكننا القول أن هذه الأساليب [النداء والأمر والاستفهام] قد خرجت عن غرضها الحقيقي إلى غرض آخر في نفس الشاعرة .

ولك الآن أن تتساءل : ما غرض الخالق - جل وعلا - من الاستفهام في الآية ؟
وما غرض الشاعر من النداء والأمر والاستفهام في البيت ؟... حاول أن تتلمس الغرض من الاستفهام في
الآية الكريمة وستجد أنه : التوبيخ ، كذلك حاول من خلال المناسبة التي قيلت فيها القصيدة معرفة الغرض
البلاغي . بالتأكيد ستجد أن غرضها من هذه الأساليب المتتالية في ذاك البيت إنما هو : إظهار الحسرة والألم
لفقدتها أخاها .

هذا هو الفارق بين كل من الأساليب الإنشائية الحقيقية والأساليب الإنشائية البلاغية ، فالأمر الحقيقي غرضه :
الفعل - والنهي الحقيقي غرضه : الترك - والاستفهام الحقيقي غرضه : الإجابة... وهكذا .
أما الأمر البلاغي ، وكذلك النهي البلاغي ، أو الاستفهام البلاغي ؛ فإنها جميعا غرضها هو : إظهار
مشاعر المتحدث من حزن وألم ، أو فرح وسرور ، أو تقريع وتوبيخ ، أو نصح وإرشاد الخ .

فائدة مهمة :

* الأغراض البلاغية لكل من الخبر البلاغي والأساليب الإنشائية البلاغية لا ضابط لها ، وإنما يتم تحديد
الغرض من خلال الجو النفسي للشاعر أو الأديب ، بمعنى : أنه ليس هناك قاعدة بلاغية خاصة بكل غرض أو
بكل أسلوب ، فالأغراض يتم تحديدها من خلال الجو النفسي للشاعر أو الأديب فقط .
انظر إلى أمامة بنت مالك وهي تنصح ابنتها ليلة زفافها :
" فلا تعصي له أمرا ، ولا تفشي له سرا " فمن الواضح أن غرضها من النهي هنا إنما هو نصح وإرشاد ابنتها .

تمرين

* حدد نوع الأسلوب وغرضه البلاغي فيما يأتي :

* قال تعالى : " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا "

* لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

* هل علمتم أمّةً في جهلها ظهرت في المجد حسناء الرداء؟